Jurnal LUGHOTI
Jurnal Pendidikan Bahasa Arab
Vol. 4 No. 01 Desember 2022
E-ISSN : 2774-3950

Program Studi
Pendidikan Bahasa Arab
IAI Al-Qur'an Al-Ittifaqiah Indralaya
Ogan Ilir Sumatera Selatan

اللغة العربية في الدولة العثمانية

Agus Aulia Elluthfi

Faculty of Education Hantoub University of Gezira Sudan

agusauliaelluthfi@gmail.com

ABSTRACT

Arabic is one of the most unique and influencing language in civilization and history of nations. Turkey is one of nation significantly influenced by Arabic. This research try to undertake the influence of Arabic in the history of Turkish Civilization. This research used Descriptive-Analitic method. The results of this research proofed that untill the 8th century of Hijriya, the Ottomans was familiar with Arabic. In that time, Arabic was integrated in their activities such as prayers, education, and scientific papers. Majority of Ottoman Empire Sultans were able to speak Arabic. Infact, there were some Sultans that made poems and prose including Sultan Selim I (1520), Sultan Ahmad I (1617), Sultan Abdul Hamid Khan (1918), etc. The influence of Arabic in the civilization of Ottoman Empire was also seen in the sentences and terms of Turkish. It is recorded that %70of words in Turkish were rooted from Arabic.

مقدمة

تميزت اللغة العربية عن غيرها من سائر لغات الأرض، وكان لديها ما لا تمتلكه لغة أخرى من حيث القوة والبقاء. هي لغة القرآن الكريم التي أنزلها الله تعالى على قلب الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم. ومعلوم أن كل مسلم في العالم يتلو الآيات القرآنية في صلاته وهي واجبة خمس مرات في في الليل والنهار. وهذا يعني أن على جميع المسلمين أن يتعلموا اللغة العربية لأداء واجباتهم الدينية ، لأن اللغة العربية هي لغة العبادة. وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للإسلام التي تعلمتها الشعوب والقبائل والأمم عندما دخل الناس في دين الله أفواجا.

ومن بين هذه الشعوب والقبائل التي دخلت في الإسلام قبائل الأتراك. فتأثروا باللغة العربية تأثرا كبيرا. حتى صار تبادل الكلمات بينهما حتميا. فها نحن بصدد البحث عن مكانة اللغة العربية في الدولة العثمانية التي امتد حكم خلافتها لما يزيد عن 900 عام.

أولا : أصول الأتراك والعثمانيون

هذه القبيلة التركية سكنوا في منطقة ماوراء النهر والتي نسميها اليوم (تركستان) والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً الى بحر الخزر (بحر قزوين) غرباً، ومن السهول السيبرية شمالاً الى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الأتراك[1].

قال الحسن البصري[2]، رضي الله عنه : أصل الترك من ولد يافث بن نوح، عليه السلام، فيافث هو أبو الترك، ويأجوج ومأجوج بنو عم الترك؛ وإنما سميت الترك تركا، قيل إن الإسكندر ذو القرنين، لما بنى السد على يأجوج ومأجوج، كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد، فما علموا ببنائه، فتركوا خارجا عنه، فسميت هذه الطائفة ((تركا))، لكونهم تركوا خارجا عن السد؛ فالترك طائفة من نسل تلك الشرذمة التي تركت[3]

ثم تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، في الانتقال من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة. وذكر المؤرخون مجموعة من الأسباب التي ساهمت في هجرتهم؛ فالبعض يرى أن ذلك بسبب عوامل اقتصادية، فالجدب الشديد وكثرة النسل، جعلت هذه القبائل تضيق ذرعاً بمواطنها الأصلية، فهاجرت بحثاً عن الكلاء والمراعي والعيش الرغيد[4] والبعض الآخر يرون أن تلك الهجرات تعود لأسباب سياسية حيث تعرضت

(1) عبد اللطيف عبد الله بن هديش، قيام الدولة العثمانية، ط2 (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، 1995)، ص 7.
(2) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، ت : 110 هـ، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. (الأعلام للزلكلي : ج 5 ص 208)
(3) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى، (مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية: مكتبة دار الباز)، ص : 288.
(4) أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط1 (بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية، 1997)، ج 1 ص 30.

تلك القبائل لهجمات شرشة من قبائل أخرى أكثر منها عدداً وعدة وقوة وهي المغولية، فأجبرتها على الرحيل، لتبحث عن موطن آخر وتترك أراضيها بحثاً عن الأمن والاستقرار[1]. فاضطرت تلك القبائل المهاجرة أن تتجه غرباً، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون، ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان، وجرجان[2]، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الاسلامية والتي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة 21هـ/641م[3]

أصول العثمانيين.

أجمع المؤرخون إلى أن أصل شجرة آل عثمان التي ابتدأت سلطنتهم من عهد السلطان الغازي عثمان خان يتصل فرعها بيافث بن نوح عليه السلام، لأن الغازي عثمان هو ابن الأمير «ارطغرل» بن «سليمان شاه» بن «قياألب» بن «قزل بوغا» بن «باتيمور» بن «قايلغه» بن «طغرا» بن «قراينو» بن «بانيقر» بن «بولغاي» بن «بايسنقور» بن «توقتمور» بن «ياساق» بن «حميده» بن «ناقنلق» بن «قماري» بن «جكتمور» بن «طورح» بن «قزل بوغا» بن «يماق» بن «باشبوغا» بن «جورمز» بن «بايسو» بن «طغرا» بن «سونج» بن «جاريفا» بن «قورلمش» بن «قورخاد» بن «بالجق» بن «قماس» بن «قراغلان» بن «سليمان شاه» بن «فرحلو» بن «يورلوغان» بن «بايتمور» بن «تورمش» بن «كوك ألب» بن «أوغون» بن «قورخان» بن «قابي خان» بن «أبو لحاي» بن «ماجيه» بن «أبي الحارث» بن «يافث» بن «نوح». [4]

وأكد القطبي في «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» أن أصل الأتراك يعود إلى يافث بن نوح ʋ، حيث قال : «إن عثمان يتصل نسبه إلى يافث بن نوح ʋ، وهو الجد الأربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد «رحمه الله تعالى» [5]

(1) عبد المنعم محمد حسين، دولة السلاجقة، (قاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1975)، ص 16
(2) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، ط 1 (بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1997) ، جـ 8، ص 22.
(3) عبد اللطيف عبد الله بين هديش، قيام الدولة العثمانية، نقلا عن شوقي أبو خليل، نهاوند، ط 3 (دمشق : دار الفكر، 1979)، ص 55 -70.
(4) الميرالاي إسمعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى (مصر، المطبعة الأميرية، 1312) ص 482-483.
(5) قطب الدين، محمد بن أحمد بن محمد النهرواني، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا، (مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز) ص 264.

وقد ورد ذكر أصل آل عثمان في كثير من المراجع وأن أصلهم من قبيلة أو عشيرة تركية تسمى قابي خان، روى ذلك العديد من المؤرخين مثل كارل بروكلمان(1)، ومحمد فؤاد كوبرلي(2) وغيرهما.

ولقد استوطنت القبيلة في الأناضول تحت سلطان السلاجقة، وقد سنحت الفرصة أمام زعيمهم عثمان بن أرطغرل بعد وفاة علاء الدين السلجوقي حيث أخذ يضم إليه ما قرب من المناطق ويواصل فتوحاته على حساب جيرانه إلى أن توسعت الدولة(3).

ثانيا : اتصالهم بالعالم العربي والإسلامي:

يعود تاريخ معرفة العرب بالأتراك إلى ما قبل ظهور الإسلام، أي إلى العصر الجاهلي. والدليل على ذلك أن شعراء العصر الجاهلي، قد ذكروا الأتراك في قصائد لهم(4). فعلى سبيل المثال قال الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني(5) في قصيدته التي رثى فيها الأمير الغساني نعمان بن الحارث(6):

قُعوداً لَهُ غَسّانُ يَرجونَ أَوبَهُ وَتُركٌ وَرَهطُ الأَعجَمينَ وَكابُلُ (7)

وعلى نفس الشاكلة فإن الشاعر الجاهلي الأعشى ميمون بن قيس(8) قال في قصيدة له حين يمدح فيه قيس بن معديكرب(9) :

وَلَقَد شَرِبتُ الخَمرَ تَر كُضُ حَولَنا تُركٌ وَكابُل

(1) كارل بروكلمان، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 1 (بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1949) ص 13.
(2) محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، (دار الكتاب العربي) ص 119.
(3) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ط 2 (مطبعة محمد أفندي مصطفى، 1896) .
(4) إبراهيم شعبان، التأثير والتأثّر بين اللغة العربية واللغة التركية، موقع اللغة العربية، صاحبة الجلالا، صحيفة دولية تصدر برعاية المجلس الدولي للغة العربية، 2021/06/01، على الرابط : https://bit.ly/3ib0eUU .
(5) زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة: (ت 83 هـ)، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز(الأعلام الزركلي : ج 3 ص 54-55).
(6) النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث الغساني: (ت 43) ق هـ. من ملوك الغسانيين في أطراف الشام. كان ممدوحا في الجاهلية. (الأعلام الزركلي : ج 8 ص 37).
(7) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، (القاهرة، جمهورية مصر العربية، دار المعارف) ص 122.
(8) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له الأعشى الكبير، (ت : 7 هـ)، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، (الأعلام للزلكلي : ج 7 ص 341) .
(9) قيس بن معدى كرب بن معاوية ابن جبلة الكندي، (ت: 20 ق ه)، من قحطان: ملك جاهلي يماني، كان صاحب مرباع حضرموت. يلَّقب بالأشج، لأثر شجّ، في وجهه، (الأعلام للزلكلي : ج 5 ص 208) .

كَدَمِ الذَبيحِ غَريبَةً مِمّا يُعَتِّقُ أَهلُ بابِل[1]

وفي عام 22هـ/642م تحركت الجيوش الإسلامية إلى بلاد الباب لفتحها وكانت تلك الأراضي يسكنها الأتراك، وهناك التقى قائد الجيش الإسلامي عبد الرحمن بن ربيعة[2] بملك الترك شهربراز، فطلب من عبد الرحمن الصلح، وأظهر استعداده للمشاركة في الجيش الإسلامي لمحاربة الأرمن، فأرسله عبد الرحمن إلى القائد العام سراقة بن عمرو[3]، وقد قام شهربراز بمقابلة سراقة فقبل منه ذلك، وكتب للخليفة عمر بن الخطاب[4] τ يعلمه بالأمر، فوافق على مافعل، وعلى إثر ذلك عقد الصلح. [5]

ومن الجدير بالذكر، أن في ذلك المنطقة مملكة الترك، وكانت تضاهي مملكة فارس، حتى إن الفرس -على ما لهم من قوة- أقاموا معهم معاهدة ألا يغزوا أرض الفرس ولا يغزو الفرس أرضهم، وكانت على رأسهم ملكٌ يُلقب بالخاقان ذو بأس وقوة، وكان الجيش التركي يُعرف عنه القوة العظيمة، ومع ذلك فرَّ الجيش التركي من أمام المسلمين[6]؛ فلم يقع بين الترك والمسلمين أي قتال، بل سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الاسلام فيها[7].

ومن هناك، تقدمت الجيوش الإسلامية لفتح البلدان في شمال شرق بلاد فارس حتى تنتشر دعوة الله فيها، بعد سقوط دولة الفرس أمام الجيوش الإسلامية والتي كانت تقف حاجزاً منيعاً أمام الجيوش الإسلامية في تلك البلدان، وبزوال تلك العوائق، ونتيجة للفتوحات الإسلامية، أصبح الباب مفتوحاً أمام تحركات شعوب تلك البلدان والأقاليم ومنهم الأتراك، فتم الاتصال بالشعوب الاسلامية، واعتنق الأتراك الإسلام [8].

(1) ميمون بن قيس بن جندل، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق : محمد حسين، (مكتبة الآداب بالجماميزت، المطبعة النموذجية)، ص 347.
(2) عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي (ت 32 هـ): وال من الصحابة، كان يلقب ذا النور. ولاه عمر بن الخطاب قضاء الجيش الّذي وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، وعهد إليه بقسمة الغنائم. ثم ولاه الباب، وقتال الترك والخزر(الأعلام للزركلي : ج 3 ص 306).
(3) سراقة بن عمرو بن لبنة، ذو النور(ت 30 هـ) : صحابي، كان أحد الأمراء في الفتوح. وهو الّذي صالح سكان أرمينية. ومات فيها (الأعلام للزركلي : ج 3 ص 80).
(4) . عمر بن الخطَّاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزَاح بن عدي بن كَعْب أَمِير الْمُؤمنِينَ أَبُو حَفْص الْقرشِي الْعَدوي، ولد بعد الْفِيل بِثَلَاث عشرَة سنة فِي قَول وَكَانَ من أَشْرَاف قُرَيْش وَإِلَيْهِ كَانَت السَّفارة فِي الْجَاهِلِيَّة لأَنَّه كَانَ إِذا وَقعت بَين قُرَيْش وَبَين غَيرهم حربٌ أَو منافرة أَو مفاخرة بعثوه سفيراً ومنافِراً ومفاخِراً وَرَضوا بِهِ ثمَّ أسلم وَكَانَ إِسْلَامه عِزًّا ظهر بِهِ الْإِسْلَام بدعوة النبيّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ من الْمُهَاجِرين الأوَّلين. توفي وَهُوَ ابْن ثَلَاث وَسِتِّينَ سنة. (الوافي بالوفيات للصفدي، ج 22 ص 285-286.
(5) محمد جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (دمشق: دار الفكر، 1979)، جـ 3، ص 256-257.
(6) راغب السيرجاني، غزو المسلين للترك في فتح فارس، 2021/05/26، على الرابط : https://bit.ly/3fM6T4X.
(7) عبد اللطيف دهيش، المرجع نفسه : ص 9.
(8) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914، (القاهرة، مصر: مكتبة أنجلو المصرية)، ص 12

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ψ[1] تم فتح بلاد طبرستان، ثم عبر المسلمون نهر جيحون[2] سنة 31هـ، ونزلوا بلاد ماوراء النهر، فدخل كثير من الترك في دين الاسلام، وأصبحوا من المدافعين عنه والمشتركين في الجهاد لنشر دعوة الله بين العالمين.

وواصلت الجيوش الإسلامية تقدمها في تلك الأقاليم، فتم فتح بلاد بخارى في عهد معاوية بن أبي سفيان τ [3] وتوغلت تلك الجيوش المضفرة حتى وصلت سمرقند، وما أن ظهر عهد الدولة الاسلامية حتى صارت بلاد ماوراء النهر جميعها تحت عدالة الحكم الاسلامي وعاشت تلك الشعوب حضارة إسلامية عريقة .

وازداد عدد الأتراك في بلاط الخلفاء والأمراء العباسيين وشرعوا في تولي المناصب القيادية والإدارية في الدولة؛ فكان منهم الجند والقادة والكتاب. وقد التزموا بالهدوء والطاعة حتى نالوا أعلى المراتب. ولما تولى المعتصم[4] العباسي الخلافة فتح الأبواب أمام النفوذ التركي وأسند إليهم مناصب الدولة القيادية، وأصبحوا بذلك يشاركون في تصريف شؤون الدولة. [5] وأسسوا لهم مدينة سامراء خاصة بهم، بعيدة نسبيا عن مدينة بغداد بحوالي 125 كم ، كي يبعد عناصر الترك عن الاحتكاك بالعرب. وقد تمكن الترك من تأسيس دول تركية إسلامية أعظمها وأقواها دولة السلاجقة [6] الأتراك أو ما يعرف بدولة سلاجقة الروم. [7]

ثالثا : اللغة العربية في قلب الدولة العثمانية

كانت آسيا الوسطى التي تعرف بـ "تركستان الكبرى"، وأيضا "بلاد ما وراء النّهر"، و"منطقة توران"، قد دخلها الإسلام فعليا عام 86هـ، واستمرت الفتوحات بها إلى سنة97هـ. وتعيش هذه المنطقة حياة مزدهرة، وعرفت تطوّرا عمرانيا مشهودا، بعد دخول الإسلام إليها، حتّى أصبحت منارة علمية، ومركز إشعاع حضاري امتد نفعه إلى باقي العالم، ويحفظ التاريخ

(1) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش (35هـ) : أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين. من كبار الرجال الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره. (الأعلام للزركلي : ج 4 ص 210).
(2) جَيْحُونُ: بالفتح، وهو اسم أعجميّ، وهو اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان فنسبه الناس إليها (معجم البلدان للحموي، ج 2 ص 196-197.
(3) معاوية بن (أبي سفيان) صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي: (ت 60 هـ) مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار. ولد بمكة، وأسلم يوم فتحها (سنة 8 هـ). (الأعلام للزركلي : ج 7 ص 261).
(4) زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسي، أبويحيى، المعتصم بالله (ت 791هـ) : من خلفاء العباسيين بمصر. نُصب خليفة في القاهرة بعد خلع المتوكل على الله (محمد بن أبي بكر) سنة 779 هـ فأقام عشرين يوما وعزل، ثم أعيد وبويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق بالله (عمر ابن إبراهيم) سنة 788 هـ فاستمر الى أن خلع سنة 791 هـ ولزم داره إلى أن مات. (الأعلام للزركلي : ج 3 ص 45).
(5) قيام الدولة العثمانية : 11
(6) .عبد اللطيف دهيش، قيام الدولة العثمانية، ص 12.
(7) عبد الفتاح حسن أبو علية، الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير، (الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المريخ للنشر، 2008)، ص : 25-26.

لنا أسماء حواضر خالدة مثل: طشقند وبخارى وسمرقند ومرو، خيوة، كمدن ومراكز حضارية لعبت دورا هامّا في تطور الحضارة الإسلامية، ويكفي أن نذكر أنّ هذه المنطقة المغيّبة قد أنجبت للأمّة الإسلامية ثلة خالدة من العلماء والفقهاء والأطباء وعلماء في مختلف المجالات، نذكر منهم على سبيل المثال: الإمام البخاري، والغزالي والنّسائي والترمذي، والخوارزمي، والسّرخسي والسّمعاني، والدبوسي، والفارابي، وابن سينا، والبيروني، وغيرهم. ونشير هنا إلى أنّ اللغة العربية كانت لغة المسلمين، ولغة الثقافة والعلم والأدب والتخاطب...[1].

فمن هذا المنطلق التاريخي للمعرفة والعلم والثقافة في ذلك العصر، فقد أصبحت اللغة العربية في الدولة العثمانية مشكلة معقدة، فعلى الرغم من اعتزاز التركي بهويته ولغته، فإن اللغة العربية - حتى قبل دخول العثمانيين إلى البلاد العربية - مثّلت أحد عنصر أساسي في التكوين الثقافة العثمانية ، بل المكون الفكري العثماني على اختلاف مستوياته، وإذا استحضرنا مقولة: إن اللغة ليست فقط وسيلة تواصل، إنما هي أيضًا طريقة تفكير - فإن الإشكالية هنا تبرز بشكل واضح في أن اللغة العربية كانت جزءًا لا يتجزأ من الهوية القومية التركية، حتى وهم في مسكنهم الأصلي في آسيا الوسطى

وقد شهدت الهوية التركية - بسبب اللغة العربية - مراحل متدرجة في التشكل والبناء؛ فكانت البداية عندما اتخذت العربية لغة دِين وعقيدة، ثم تطور الأمر لتصير العربية لغة ثقافة وتعليم، وبالتالي كانت النتيجة أن صارت العربية لغة تفكير، بمعنى أن اللغة العربية في الدولة العثمانية تدرجت حتى صارت هوية حضارية لا تتصادم بأي شكل مع الهوية القومية الخاصة للترك. [2]

مما يبرز لنا العلاقة بين اللغة العربية وبين الهوية الإسلامية التركية، فإنها لغة القرآن، التي من أجله صارت مرتبطة عقائديًّا بالضمير التركي، واتخذت مكانًا مقدسًا في النفوس لا يتصادم مع اللغة التركية أو العثمانية، فصارت صورةً للهوية الدينية.

ثم اتسعت رقعة الدولة العثمانية، وصارت دولة عالمية، واتسع معها الأفق الفكري والمفاهيمي لدى الشخصية العثمانية التي أرادت استيعاب الشعوب المختلفة في بوتقة حضارية واحدة لتصنع نموذجًا مبكرًا من العولمة الثقافية، فكانت اللغات التركية والفارسية والعربية هي لغات التعليم والثقافة، سواء للعامة أو رجال الدولة، أو حتى القصر العثماني والأسرة الحاكمة، فصارت صورةً للهوية الثقافية.

(1) محمد الأمين مقراوي الوغليسي، الصعود التركي في آسيا الوسطى الواقع والآمال، 05/28م2021، على الرابط : https://www.albayan.co.uk/article2.aspx?id=5507.

(2) أحمد عبدالوهاب الشرقاوي، اللغة العربية في الدولة العثمانية والهوية الحضارية، موقع الألوكة الشرعية، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/2Tqxj4D.

وعندما تترسخ المنظمات التعليمية العثمانية في الدولة وتتخذ الشكل المؤسسي، كانت اللغة العربية احتلت مكانة رفيعة في مناهج التعليم، وتمكن المتعلمين، وحتى في التقسيم المنهجي للمدارس ومسمياتها، فصارت صورة للهوية التعليمية وبناء الشخصية.

وأخيرًا، استمرت اللغة العربية تحافظ على مكانتها تلك حتى الأيام الأخيرة من عمر الدولة، ولدى طبقاتها العليا من الطلاب والعلماء، وحتى السلطان نفسه.

ولهذه المراحل جميعًا، تصير اللغة العربية صورة للهوية الحضارية التي تتماهى فيها العقيدة مع الدين والثقافة والتعليم والشخصية؛ لتصبح هوية حضارية بعيدًا عن أي شوفينية أو قومية.

وكان تأثير اللغة العربية في اللغة التركية واضحاً، لا في المصطلحات الإسلامية فحسب؛ بل في كثير من الألفاظ والمصطلحات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية أيضاً. وأكبر دليل على ذلك من اختيار الحروف العربية أداة للتعبير الكتابي بعد إسلام الشعب التركي، واستمراره على ذلك في العهد السلجوقي وطيلة العهد العثماني، بل ردحاً من الزمن في العهد الجمهوري أيضاً.

وإلى جانب اهتمام الأتراك بتعلم اللغة العربية، وتقدمهم في ذلك، وتأليفهم فيها كتباً لتعليم أبنائهم وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية، فقد تأثروا باللغة العربية في استخدام كثير من ألفاظها ومصطلحاتها في اللغة التركية، بل إنهم استعاروا مصطلحات في النحو والصرف والعروض وأوزانه[1].

وإذا أردنا أن نعرف متى بدأ العثمانيون الاهتمام باللغة العربية، فإن عثمان مؤسس الدولة العثمانية قد تولى عام 1281م، وحكم 37 سنة، وأحاط نفسه بعلماء ومشايخ قبيلته، الذين كانوا يُعنون بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه[2].

فاللغة العربية لم تكن غريبة عن البنية الفكرية للدولة العثمانية؛ فقد كان مفكروها وعلماؤها يرون فيها لغة ثقافتهم الأولى، فكانوا يدوّنون بها مؤلفاتهم الرئيسية، ويتكلمونها قبل أن تسود دولتُهم البلاد العربية، ويتقنونها عبر الدراسة المباشرة للقرآن الكريم وعلوم الدين، وعبر ترجمة أمهات الكتب العربية الإسلامية إلى اللغة التركية، أو عن طريق وفود بعض العلماء العرب إلى مدن الدولة العثمانية، وانتقال بعض العلماء الأتراك إلى البلاد العربية للحج وطلب العلم والمناظرة، والاحتكاك بالعلماء العرب؛ فالحضارة العربية الإسلامية كانت في الحقيقة حجر الزاوية في بنية الحضارة التركية العثمانية، بل إن اللغة التركية نفسها التي أثبتت وجودها المدوّن

(1) سهيل صابان بن إبرهيم حقي، معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، ط 1 (رياض، المملكة العربية السعودية، 2005، ص 14.

(2) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، وبحوث العالم التركي، (القاهرة، 1994م)، ص 315.

منذ القرن الثالث عشر الميلادي ذخرت بالمفردات العربية، واقتبست بعض قواعدها من العربية ودونت بالأحرف العربية[1].

(1) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إرسيكا، (إستانبول، 1999م)، جـ 2، ص 307 - 308.

(أ) حركة التأليف باللغة العربية في العصر العثماني

وحينما نرجع إلى المخطوطات التي ألفها المؤلفون العثمانيون الأوائل نجد فيها كتب الفقه، والتفسير والنحو وحتى الفلسفة وعلم الكلام، كتبت باللغة العربية. وإليك نماذج من هؤلاء المؤلفين الأفذاذ على سبيل المثال :

1- شيخ زاده (951هـ)

محمد (محيي الدين) بن مصطفى (مصلح الدين) القوجوي: مفسر، من فقهاء الحنفية. كان مدرسا في إستانبول. له (حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي - ط) أربعة مجلدات،و(شرح الوقاية) في الفقه، و (شرح الفرائض السراجية) و (شرح المفتاح للسكاكي) و (شرح البردة - خ) و (حاشية على مشارق الأنوار للصاغاني - خ). [1]

2- طاشكبري زاده (968 هـ)

أحمد بن مصطفى بن خليل: أبو الخير، عصام الدين طاشكبري زاده: مؤرخ. تركي الأصل، مستعرب. ولد في بروسة، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، وتنقل في البلاد التركية مدرّسا للفقه والحديث وعلوم العربية. وولي القضاء بالقسطنطينية سنة 958هـ ، صاحب كتاب «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية»، توفي في أواخر عهد سلطان سليمان القانوني لقد ألف كتابه باللغة العربية رغم أنه تركي الأصل، لكن كتابه كتب بالعربية وله «مفتاح السعادة» و «نوادر الأخبار في مناقب الأخيار»، و«الرسالة الجامعة لوصف العلوم النافعة» [2]

3- أبو السعود الأفندي (982هـ)

محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، أحد مشايخ الإسلام في عهد سليمان القانوني، ألف كتاب التفسير أبو السعود باللغة العربية وأهداه إلى السلطان سليمان القانوني. وكان حاضر الذهن سريع البديهة: (كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة) باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعا لما يكتبه السائل. وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم - ط) ومن كتبه (تحفة الطلاب - خ) في المناظرة، و (رسالة في المسح على الخفين - خ) و (رسالة في مسائل الوقوف - خ) وأخرى في (تسجيل الأوقاف - خ) و (قصة هاروت وماروت - خ). [3]

4- ابن لالي بالي (992هـ)

(1) الزركلي، الأعلام : ج 7 ص 99.
(2) الزركلي، الأعلام : ج 1 ص 257.
(3) الزركلي، الأعلام : ج 7 ص 59.

وهو علي بن لالي بالي بن محمد، وشهرته منق، له مؤلفت كتبت باللغة العربية. منها : «العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم» وهو ذيل للشقائق النعمانية لطاشكبري زاده، و«خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام» و«نادرة الزمن في تاريخ اليمن»[1]

5- الحاج خليفة (1068 هـ)

مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، المعروف بالحاج خليفة: مؤرخ بحاثة. تركي الأصل، مستعرب. مولده ووفاته في القسطنطينية. تولى أعمالا كتابية في الجيش العثماني، ، الكاتب للسلطان، ألف الكتاب الضخم الكبير : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهو أكبر فهرست للكتب، ومصنفاته باللغة العربية، ثم ترجم بعد فترة من الزمن إلى اللغة التركية. لقد ذيل على هذا الكتاب، عبد اللطيف زاده، سماه : أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون ، وهو مؤلف العثماني التركي أيضا. وألف حاجي خليفة كتاب آخر سماه : سلم الوصول إلى طبقات الفحول، كتاب في التراجم باللغة العربية[2]

ومما يلفت النظر على أن الكتاب الشقائق النعمانية الذي أشارناه من قبل، استعرض على شخصيات المؤلفين الكبار الذين خلفوا مؤلفات كثيرة في مجال العلوم الإسلامية كالفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والأدب، وهذه ما يظهر لنا قوة نمو وتطور العلوم الإسلامية باللغة العربية على ساحة العثمانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري أي من القرن الثالث عشر الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي، بل امتد بعد ذلك إلى نهاية القرن العشرين الميلادي[3].

(ب) اللغة العربية في مدارس العثمانية

وفي وثيقة عثمانية مؤرخة عام 1565م/973هـ برقم E 2803 في أرشيف طويقبو في إستانبول، قائمة بالكتب المؤرخة على المدرسين في المدارس العثمانية.. منها في الفقه واللغة: "الهداية - النهاية - غاية البيان - قاضي خان - البزدوي - النووي (شرح مسلم)."

والعثمانيون مع استخدامهم للغتهم التركية في الأعمال الحكومية، فإنهم لم يدرّسوا هذه اللغة للشعب في أي مؤسسة من المؤسسات - وفق ما كتب مؤرخ التربية التركية المشهور عثمان أركين في كتابه تاريخ التربية التركية؛ فاللغة السائدة والمسيطرة في المدارس والجامعات عند العثمانيين كانت اللغة العربية، ولم تتنحّ اللغة العربية عن المكانة الأولى في المؤسسات التعليمية

(1) الزركلي، الأعلام : ج 4 ص 321.
(2) الزركلي، الأعلام : ج 7 ص 236-237.
(3) محمد حرب : مرجع سابق، ص 318.

العثمانية إلا مع إلغاء النظام التربوي العثماني عندما صدر قانون عام 1923م؛ أي مع النهاية الرسمية للدولة العثمانية وميلاد تركيا الجديدة[1].

ويعدد عثمان أركين أسماء المدارس في عهد "اتخاذ التعليم العثماني اللغة العربية أساسًا لغويًّا"؛ فيذكر مدرسة إعداد الأمراء، ومدرسة أندرون (وهي مدرسة في القصر السلطاني لإعداد موظفين من الدرجة الأولى العالية لاستخدامهم في القصر والجيش والحكومة)، والمدارس العسكرية، ومدارس الموسيقا العسكرية، ومدارس الفنون العسكرية[2].

وعندما ننظر إلى ترتيب المدارس العثمانية نلاحظ أن الدرجات الثلاث الأولى منها سميت باسم" حاشية التجريد"، و"المفتاح"، و"التلويح"؛ أي إنها أخذت أسماء الكتب الأساسية التي كانت تدرس فيها، فقد أخذت مدارس حاشية التجريد هذا الاسم نسبة إلى الحاشية التي وضعها السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ/1414م) على الشرح الذي حرّره محمود بن أبي القاسم الأصفهاني (ت 746هـ/1346م) على الكتاب الذي ألفه نصير الدين الطوسي (ت 672هـ/1274م) تحت عنوان" :تجريد الكلام."

أما المفتاح فهو الكتاب الذي وضعه في البلاغة يوسف السكّاكي (ت 626هـ/ 1229م)، وكان يجري تدريسه في تلك المدارس مع الشروح التي كتبها عليه السيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني (ت 971هـ/1389م)، ومن ثم عُرفت باسم مدارس المفتاح.

أما التلويح فهو الشرح الذي وضعه التفتازاني على كتاب أصول الفقه المعروف باسم تنقيح الأصول الذي ألّفه صدر الشريعة عبيدالله البخاري (747هـ/1347م)، وشرح على الشرح الذي ألّفه الأخير أيضًا تحت اسم **"**توضيح التنقيح**"**، وهذا الشرح كان يجري تدريسه في تلك المدارس ككتاب أساسي[3].

(3) اللغة العربية في بلاط العثمانين.

ولم تقتصر العناية باللغة العربية على العلماء فقط، بل كان ملوك العثمانيين أنفسهم يتعلمون العربية وآدابها كما يتعلمون التركية وآدابها. ومنهم من كان يمارس نظم الشعر فيها. وقد رؤي يخط السلطان سليم الأول بيتان من الشعر مكتوبان على مقياس النيل وهما :

الملك لله من يظفر بنيل منى يردده قسرا ويضمن بعده الركا

(1) محمد حرب: مرجع سابق، ص 316.
(2) محمد حرب: مرجع سابق، ص 319 - 320.
(3) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة : صالح سعداوي، (إستانبول، تركيا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، 1999م)، جـ 2، ص 458 - 459.

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة فوق البسيطة كان الأمر مشتركا

فإذا كان هو ناظم البيتين كان على جانب عظيم من معرفة اللغة العربية وتذوق آدابها، وإن لم يكن هو ناظمهما كما قيل، كان حفظه لهما تمثله بهما وكتابته لهما حيث وجدا آية على مشركته في آداب العربية وحسن ذوقه في اختيار الجيد من شعر العرب.

أما السلطان أحمد الأول فإنه كان ينظم الشعر العربي الجيد ومما نسب إليه منه القصيدة التي مطلعها :

ظبي يصول ولا وصول إليه جرح الفؤاد بصارمي لحظيه

إلى أن يقول :

يا شعر في بصري ولا في خده إني أغار من النسيم عليه. [1]

السلطان عبد الحميد خان

ويعتبر السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد ممن كان يجيد نظم قصائد الشعر العربي، ومن تلك القاصئد هي التي نظمها عام 1191هـ، واستحقت بإخلاص ناظمها، وحبه الصادق للمصطفى صلى الله عليه وسلم، أن تنقش على جدران الحجرة النبوية الشريفة، وقد استخرجناها من كتاب "مرآة الحرمين" لأيوب صبري باشا.

وهى قصيدة مكونة من ستة عشر بيتاً من الشعر العربي الرصين، وقد أُفرد البيت الحادي عشر منها، بالكتابة على شباك الحجرة النبوية، أمام دكة الأغوات، أي في جهة المحراب المعروف بمحراب التهجد، والبيت المذكور هو:

ربُّ الجمال، تعالى الله خالقه
فمثله في جميع الخلق لم أجد[2]

(4) تأثير اللغة العربية على اللغة التركية العثمانية

نتيجة العلاقات السياسية والتجارية والاجتماعية والثقافية القائمة بين شعبي العربي والعثماني، تؤدي مع مرور الزمن إلى حالة من التأثير والتأثّر والتبادل بين هاتين اللغتين. يقول صادق أتاغول، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة غازي عنتاب التركية، "إن اللغة التركية تأثرت على مر التاريخ بشكل كبير باللغتين العربية والفارسية، حتى بلغت نسبة المصطلحات العربية المستخدمة فيها قرابة الـ70%".

فعلى سبيل المثال هناك العديد من الكلمات العربية التي دخلت إلى اللغة التركية مثل كلمة مرحبا : Merhaba، وكلمة سلام : Selam، وكلمات أخرى مثل كتاب : Kitap، قلم : Kalem، روح Ruh : ، علم Ilim : ، حقوق : Hukuk، تبسم Tebessüm : ، حساب Hesap : ،

(1) عبد القادر المغربي، اللغة العربية في دولة الترك العثماني، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد 6 ، ج 5 ص 217-218.

(2) محمود خليل، السلاطين الشعراء، موقع قصة الإسلام، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/3yTH6k0.

خريطة Harita : ، حكاية Hikaye : ، رؤيا Rüya : ، ساعة Saat : ، زمن Zaman : ، دقيقة: Dakika، ثانية Saniye : ، خبر Haber : ، وقت Vakit : ، صباح: Sabah، ودائماً Daiman : وغيرها من الكلمات[1].

ومن المعلوم أن اللغة التركية العثمانية كان تكتب بالأبجدية العربية طوال فترة الحكم العثماني حتى جاءت حركة ما يسمى بـ "الانقلاب اللغوي". فتم الاعتراف بقانون رقم 1353 في تركيا والذي ينص على استخدام الحروف التركية الجديدة بشكل عام بدلًا من الأحرف العربية وذلك بدءًا من 1 نوفمبر 1928. بعد أن كتبت اللغة العثمانية بالأبجدية العربية على مدار 900 عام من الحكم أي منذ القرن العاشر، ظهرت جماعات تطالب بتغيير الحروف العربية وجماعات أخرى تنادي بإقرار الحروف اللاتينية في القرن 13، وهو ما تبنته السلطات بالفعل مستغنية عن الحروف العربية. [2]

نتائج البحث :

بعد هذا العرض والسرد، نستطيع أن نستنتج بعض النقط المهمة وهي :

1. أن اللغة العربية من بداية نشأة الدولة العثمانية حتى بداية القرن الثامن عشر كانت هي لغة والعلم والثقافة والعبادة عندهم. وكانت لغة التأليف لبعض العلوم كالتفسير والفقه والتراجم والتاريخ. كما أنها درست في المدارس، بالإضافة إلى أن معظم سلاطين العثمانية يجيد العربية، بل منهم من كان يجيد نظم قصائد الشعر العربي مما يدل على اهتمامهم البالغ لهذه اللغة.
2. لقد تأثر اللغة العثمانية باللغة العربية تأثرا كبيرا، بدليل أن العديد من الكلمات والمصطلحة العثمانية لها جذور وأصول من اللغة العربية، كما أنها تكتب بالأبجدية العربية خلال فترة الحكم العثماني.
3. اللغة العربية لغة عظيمة، تأثر على معظم لغات الشعوب، خاصة الشعوب العالم الإسلامي، فهي اللغة الرسمية للدين، فينبغي لكل مسلم تعلمه وتعليمه حتى يفهم أبناء المسلمين دينه بشكل صحيح ويتذوقون في عبادتهم لله تعالى.

قائمة المراجع :

(1) نور علوان، كيف غابت وعادت اللغة العربية إلى تركيا؟، موقع ن بوست، ، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/3fKHzxe.

(2) نور أخرس، اللغة العربية روح اللغة التركية والفارسية عطرها، موقع رصيف، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/3fKC3L2.

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، ط 1 (بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1997)
2. أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط1 (بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية، 1997)
3. أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إرسيكا، (إستانبول، 1999م).
4. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، ط 2 (بيروت، لبنان، دار صادر، 1995)
5. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الأعلام، ط 15 (دار العلم للملايين، 2002)
6. سهيل صابان بن إبرهيم حقي، معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، ط 1 (رياض، المملكة العربية السعودية.
7. عبد الفتاح حسن أبو علية، الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير، (الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المريخ للنشر، 2008)
8. عبد القادر المغربي، اللغة العربية في دولة الترك العثماني، مجلة المجمع العلمي العربي
9. عبد اللطيف عبد الله بن هديش، قيام الدولة العثمانية، ط2 (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، 1995)
10. عبد المنعم محمد حسين، دولة السلاجقة، (قاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1975)
11. قطب الدين، محمد بن أحمد بن محمد النهرواني، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا، (مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز)
12. كارل بروكلمان، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي (بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1949).
13. محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914، (القاهرة، مصر: مكتبة أنجلو المصرية)
14. محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى، (مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية: مكتبة دار الباز)، ص : 288.
15. محمد جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (دمشق: دار الفكر، 1979)،
16. محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، وبحوث العالم التركي، (القاهرة، 1994م).
17. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ط 2 (مطبعة محمد أفندي مصطفى، 1896) .
18. محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، (دار الكتاب العربي)
19. الميرالاي إسمعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى (مصر،

المطبعة الأميرية، 1312)

20. إبراهيم شعبان، التأثير والتأثّر بين اللغة العربية واللغة التركية، موقع اللغة العربية، صاحبة الجلالا، صحيفة دولية تصدر برعاية المجلس الدولي للغة العربية، 2021/06/01، على الرابط : https://bit.ly/3ib0eUU .
21. محمد الأمين مقراوي الوغليسي، الصعود التركي في آسيا الوسطى الواقع والآمال، 05/28م2021، على الرابط : https://www.albayan.co.uk/article2.aspx?id=5507
22. أحمد عبدالوهاب الشرقاوي، اللغة العربية في الدولة العثمانية والهوية الحضارية، موقع الألوكة الشرعية، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/2Tqxj4D.
23. نور علوان، كيف غابت وعادت اللغة العربية إلى تركيا؟، موقع ن بوست، ، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/3fKHzxe.
24. نور أخرس، اللغة العربية روح اللغة التركية والفارسية عطرها، موقع رصيف، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/3fKC3L2.
25. راغب السيرجاني، غزو المسلين للترك في فتح فارس، 2021/05/26، على الرابط : https://bit.ly/3fM6T4X.
26. محمود خليل، السلاطين الشعراء، موقع قصة الإسلام، 2021/06/02، على الرابط : https://bit.ly/3yTH6k0 .